

من العبر في تاريخنا

وقف صلاح الدين للهووبى أمام عكا

نذير الحسامى

وقف صلاح الدين ممتطياً صهوة فرسه في مساء من ليالي تموز من العام ١١٩١ على تلة تشرف من بعد على (عكا) بعد سقوطها بيد الفرنجة الصليبيين وهو يرسل أنفاسه الحارة مع نظراته الحزينة الى ما وراء الأسوار التي استعصت سنتين على الغزاة الذين تكاثرت عليها جحافلهم بعددهم وعددهم من البر والبحر . وأخذ صلاح الدين في سبحات حزنه يستعرض ما عومل به أهل عكا الأبطال وهم أسرى ويقارن خسة المعاملة بما عامل به الفرنجة في بيت المقدس يوم فتحه . ثم ضرب بيده على سيفه متوعداً الغزاة الذين نقضوا عهد صلاح الدين وغدروا بالمواثيق بالارتداد عليهم في معركة قادمة من معارك جهاده .

وقبل أن يلوي صلاح الدين عنان فرسه ليضرب في الصحراء متوغلا في الظلام ، جمل يخاطب في صلاة المؤمن واجلاله المدينة الباسلة الأسيرة التي يطيف بها حزن جللته كبرياء الاباء بهذه الزفرات :

فلم تنقحم
لها خيلاء ولا كبرياء
ولم تتعصب بغير الدماء
* * *
سلاماً لأرض الكفاح
سلاماً لأرض الجراح

سلاماً لبنت الاباء
سلاماً لأخت الفداء
لنازفة الجرح تابى البكا
وترفض في الذل أن تهلكا
وتكبر ، في العار أن تهتكا
جلاهما الشمم

أما من لظاك تعالى الوهج ؟
ودون مذاك استطار الرهج ؟

★ ★ ★

أيسمع مني النداء ؟
أيعمل رجعي المساء ؟
وهذا على مقلتي الغسق
يمد الشباك لبنت الأرق
عليها من الجرح وقد الشفق
ترش الغبار
بدمع النهار
وتلثم من دمها ما أضاء
دروب الوغى ودروس المضاء

★ ★ ★

أيا لبوة لا تهون
وان طوقتها المنون
أغزوك تحت الدجى كل ذيب ؟ !
تناهى اليك بصبح مريب
يبرقع مغلبه بالصليب ؟ ! (١)
تسلل غدرا
لينشب ظفرا
بذات الدواهي على الغاصبين (٢)
تلاطم دون شموخ الجبين

★ ★ ★

بنفسي أم الشبول
تشد عليها الكبول

سلاماً لأم الجراح
وألف سلام لكل حجر
بصدرك (عكا) تلقى الشرر
فعاد شواظاً على من غدر
من العابثين
بقدس العرين
أغاروا عليك بكل سلاح
وطاروا اليك بألف جناح !

★ ★ ★

سلاماً لذات الخمار
تذود وتحمي الذمار
سلام الحزين لحزنك عكا
لبست الليالي جهاداً وضنكا
وما كنت الا لأهلك ملكا
فكيف حزنت ؟
أفي الأسر هنت ؟

ألست العلية بين الديار ؟
أيا قلعة للعلا والفخار

★ ★ ★

بعشقك سيفي هزج
وفيك فؤادي اختلج
ولست بجبك لي مشرکہ
فهذا حسامك من أنهكه ؟
ألست العصية في المعركة ؟ ؟

طلبت المنية
وعفت الدنيا

تنادت بكل نقيع وناب
اليها العدا من وراء العباب !

أتطمع باللبوات الذئاب ؟ !

وترمى الأبييه

بكل أذيه ؟

وتجمع بالعنفوان الخيول

وتحلف أن تسترد الطلول

★ ★ ★

ويرجف سيف الغزاة

لزارة ليث الفلاة

تردهما في الحزون الحجاره

فتصدع كبد الدجى كالمئاره

وتصعق قلب العدا بالشراره

وتوجس رعباً

وتسودّ كتباً

ببارق زغرد فيها البغاة

أغاروا بهن على الحرمات !

★ ★ ★

وحطوا كمثل الجراد

ولم يحملوا أي زاد !

أسارهم أوردوها الشفار (٣)

فيا ويحكم هل شفوا كل ثار ؟ !

يذل الحديد اذا هو جار

ويكسى الهوان

بكف الجبان

فيا لصغار السيوف الحداد

تعز الأذلين من كل واد !

★ ★ ★

أبى اللؤم ألا يعود

فخاسوا بكل العهود

نسوا في ربا القدس أنا الغيارى

عففنا فلم نستبهم أسارى (٤)

ولم نرم عرضاً لدينا مجارا

وحزّوا الجدائل (٥)

وراء السلاسل !

فلا تهنى يا ابنتي في القيود

غداً بحسامي اليك أعود

★ ★ ★

حنانيك لا تصمتي

سألت الهوى يا ابنتي

أنا بك مني بعض الجفاء ؟

أظنك أني عصيت الوفاء ؟

فلم أدرك المعتدي حين جاء ؟ (٦)

يلام الغضنفر

اذا الوثب قصّر ؟

فلا وأبيك وروحي التي

تزمجر ما خنت أمنيّتي

★ ★ ★

سلي الليل عني

سلي كل دجن

أخاب صليبي ؟ أغاب صهيلي ؟
أكان لغير الجهاد سبيلي ؟
وكان سوى جرح قومي دليلي ؟

أعاف الحياة

بلا مكرمات

نأيت ولم أنس قربك مني

وخضت المنايا وأنت بعيني

★ ★ ★

سلي كل جرح

ينز بجنحي

أذقت وذاق بليلي الرقاد ؟

أبيت أعانق طيف الجهاد

يؤذن سيفي فيصحو الفؤاد

والقى مرادي

بضرب الأعادي

وأمسي على الصهوات وأضحى

وأطلع من غيهبي ألف صبح

★ ★ ★

سلي كل نجم

أنهذه عزمي

مرور الفصول ، وكرر الضنى ؟ !

ألم يعرف المعتدي من أنا ؟

أنا ابن حمى لم يهن موطننا

أنا ابن الفتوة

وترب المروءة

جلاني أبي وسقتني أمي

فكنت الأباء عقيدة قومي

★ ★ ★

رويداً فان الغدوا

لأت يلف العدو

يقولون : هل يظفر الظافر ؟ !

ويهمس للخائر الخائر

يؤرقنا (الملك الناصر) (٧)

يصيب بسهمه

ويبري بحلمه

وما زلت أعلو بسيفي علوا

فصبراً وان لم تطيقي السلوا

★ ★ ★

ويا ليل ضمّ اليتيم

بقلب الصحارى يهيم

على منكبيه هموم الظفر

وفي مقلتيه عناد القدر

وفي مسمعيه نداء السور

ليمضي مضيئاً

فتى عرييساً

يؤذن بالحق في (أورشليم) (٨)

ويجلو بقية ليل بهيم

★ ★ ★

ومالي أرى في الخيال

والمح خلف الرمال

ديبب الفرنجة فوق الكتيب !

وفي الشاطئ العربي الكتيب !

تسنّ ظباهم بألف صليب ! (٩)

ويشدو الطفاة

بألف صلاة ! !

فيا غدوات الفلا والظلال

خذي الحذر مما يجنّ السؤال

وصوغني رؤاك نشيد نضال ٠٠

الحواشي

- ١ - اشارة الى ما هو معروف من أن غزوات الفرنجة الصليبيين كانت تخفي وراء شعاراتها الدينية أغراضاً توسعية استعمارية لا تمت الى الصليب بسبب .
- ٢ - اشارة الى استعصاء عكا على الفاتحين ..
- ٣ - يذكر التاريخ ان ريتشارد ملك الانكليز في الغزوة الصليبية الثالثة ذبح بعد الاستيلاء على عكا الباسلة التي دام حصارها سنتين / ٢٧٠٠ / اسير دون أن يخالفه شعور انساني .
- ٤ - سمح السلطان صلاح الدين للفرنجة بالرحيل عن بيت المقدس بعد تحريره ، ويذكر التاريخ أنه كان يوزع المال والدواب على المرضى والمسنين منهم وشمل بعطفه النساء والأطفال والضعف . وقد شدد المؤرخون الغربيون بمواقف الشهامة والنبل التي وقفها من الغزاة الذين عاملوه بالتقيض .
- ٥ - اشارة الى قتلهم النساء .
- ٦ - زحف صلاح الدين بجنوده لانقاذ عكا من عساكر الفرنجة فوجد أنهم سبقوه اليها واحتلوا الأماكن المناسبة وقد استطاعوا ذلك بعدما قويت شوكتهم في مدينة صور وكان السلطان لم يابه كثيراً لذلك . وقد انتهالت الامدادات من البر والبحر على الفرنجة وأرسل هو في طلب الامدادات وقد ألح عليه المرض وأقبل الشتاء ..
- ٧ - القلب الذي خلعه الخليفة الفاطمي على صلاح الدين .
- ٨ - القدس
- ٩ - لعل السلطان صلاح الدين كان في سبحات خياله يهجر باحتمال غزو فرنجي جديد في زمن قادم للفلسطين والمنطقة تحت شتى الدرائع والإكاذيب فهل تحققت نبوءته في الغزوات لاستعمارية التالية وخصوصاً الغزوة الصهيونية الامبريالية الأخيرة لفلسطين وامتدادها الى ما يجاورها من البلاد العربية وما الغزوة الصهيونية على بيروت وما اقترفته من مجازر بعبدة عنا . فهل نعي ما حذر منه صلاح الدين؟

